أيمان العرب في الجاهلية

صناعة أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله
النجيرمي الكاتب
رحمه الله

حققه وعلق حواشيه
محب الدين الخطيب

عن نسخة الخزانة التيمورية (٣٦٢ لغة)
ومخطوطة دار الكتب المصرية (٢٣٤ مجاميع)

أعاد نشره
قصي محب الدين الخطيب

الطبعة الثانية

١٣٨٢

المطبعة السلفية ومكتبتها

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده * وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وبعدُ فانى أغتبط اليوم بنشر هذه الرسالة التى ألفها أبو اسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد النَّجيرَمىُّ فى :

(أيمان العرب فى الجاهلية)

وهى أوفى ما اطَّلعتُ عليه فى موضوعها

وقد أفادتنا هذه الرسالة — فى جملة ما استفدناه منها — أن الحَلْفَ بالله جلّ وعزّ كان رأسَ الأيمان عند العرب ، لأن أكثرهم كان على مِلَّة الحنيفية إرث أبى الأنبياء إبراهيم صلى الله عليه وسلم . وقد ورثه آل اسماعيل ، وأخوالُهم من جُرْهُم ، ومَن هبط عليهم بَطحاءَ مكة من بنى خُزاعة وغيرهم . وهى مِلَّة التوحيد التى شِيبَتْ — فى المدّة القصيرة بين زمن عمرو بن لُحَىّ الخزاعى وبين ظهور النور المحمّدى العميم — بمثل ما تُشاب به العقائد عادةً اذا ابتعدت عن ينبوعها الصافى

وإن عناية علماء العربية مِن سلَفٍ وخلَفٍ بحفظ الصِّيَغ التى

كانت العرب تختارهـا للحلف بها ، لهى مما يسهّل علينا اليوم أن نتصوّر هذا الجانب من أحوال سُكان أواسط جزيرة العرب ، أيام لم تـكن تُدَوّن أخبارهم وأحوالهم فى كتاب

المؤلف

والنجيرمىُّ ـ مؤلف هـذه الرسالة ـ من رجال العربية والأدب والتاريخ ، ذكره ياقوت فى (معجم الادباء) وفى (معجم البلدان) ، والصَّفَـدى فى (الوافى بالوفيات) ، والسيوطى فى (بغيـة الوُعاة) ، والزَّبيـدى فى (تاج العروس) وقال عنـه : « . . . مؤلف كتاب (أيمان العرب) وهو عندى بخط قديم . . »

وكان مُقـام أبى إسحاق النجيرمىّ فى مصر ، وتولى فيهـا منصباً من أجلّ المناصب السياسية يومئـذ وهو منصب الـكتابة لـكافور الاخشيدى[1] القائم بأعباء المملـكة المصرية فى النصف الاول من القرن الرابع الهجرى . والظـاهر أن النجيرمى كان من منصبه هـذا فى طمأنينة وهناء لم يبقيا له بعد كافور ، بدليل رجز صغير له يفيد هذا المعنى ، وسيأتى بعد

وكان النجيرمى ـ فضلاً عن مـكانته هـذه فى إدارة الحـكم

---

(١) انظر ترجمة كافور فى وفيـات الأعيان

بوادى النيل – مرجعاً فى التعليم والإفادة ، وقد ورد فى النتف التى تركها لنا المؤرخون من ترجمته أن ممن أخذ العلم عن النجيرمى أبا الحسين المهلَّبى ، وأبا أسامة جنادة بن محمد اللغوى الازدى الهروى [1] الذى قتله الحاكم صاحب مصر سنة ٣٩٩ ، قالوا : وقد أخذ عنه غيرهما كثير من أهل العلم

مؤلفاته

وفى كتب التراجم نقص وتقصير فيما جاءتنا به عن أبى اسحاق النجيرمىّ ، حتى انها لم تشر الى شىء من مؤلفاته . وقد رأيتَ ما نقلناه عن الزبيدى فى التاج من ذكر (أيمان العرب) واقتنائه نسخة قديمة منه ، وذكر ياقوت فى مواضع متفرقة من (معجم البلدان) بعض مؤلفات للنجيرمى ، منها (فى مادة البريص) كتاب الأمالى ، وفى مادة (كفر نجد) أن له تعليقاً ، وقال (فى مادة الجابرية) : كذا هو مضبوط فيما كتبت عن أبى اسحاق ابراهيم بن عبد الله النجيرمى . وقال فى ترجمة النجيرمى من معجم

---

(١) روى ذلك ياقوت فى ترجمة النجيرمى من معجم الادباء ، والصفدى فى الوافى بالوفيات (٥ : ٣٣ المخطوطة التيمورية) ، والسيوطى فى بغية الوعاة (ص ١٨١)

الادباء « قرأت فى كتاب من املاء النجيرمى . . . » ولم يسم هذا الكتاب

شعره

وللمؤلف (أيمان العرب) شعر بليغ ، رأيت منه قطعتين :
احداهما من القصيد وقد ارتجلها فى حضرة كافور الاخشيدى (١) وذلك أن الفضل بن عباس دخل على كافور فقال له « أدامَ اللهُ أيامِ سيدنا الاستاذ » فتبسم كافور الى أبى اسحاق النجيرمى ، فقال أبو اسحاق :

لاغروَ إن لحن الداعى لسيدنا ... وغُصّ من هيبة بالريق والبَهر
فمثلُ سيدنا حالت مهابتُه ... بين البليغ و بين القول بالحصَر
فان يكن خفض الايام عن دهش ... من شدّة الخوف لا من قلة البصر
فقد تفاءلتُ فى هذا لسيدنا ... والفألُ نأثُرُهُ عن سيد البشر
بأن أيامَه خفض بلا نصبٍ ... وأن دولته صفوٌ بلا كدر

فأمر له كافور بثلاثمائة دينار ، وللفضل بمثلها

والقطعة الثانية من الرجز نقلها ياقوت فى معجم الادباء عن كتابٍ من إملاء النجيرمى لم يسمّه ، ولعلها من شعره بعد كافور .

---

(١) ذكرت فى ترجمة النجيرمى من معجم الادباء ، والوافى بالوفيات ، وبغية الوعاة ، وفى ترجمة كافور من وفيات الاعيان

قال كاتبها : أنشدني أبو اسحاق وهي له :

بدّلني الدهرُ أميراً معورا
بسيد كان خِضَمًّا كوثرا
اذا شممتُ كفّه مُؤَمّلا
شممتُ منه غَمَراً مقّترا (١)
بما أشمُّ مِسَكاً وعنبرا
يا بدلاً كان لقاءً أعورا

تنبيه الى خطأ

ونسبوا له قطعة ثالثة وليست له ، فقد قال ياقوت : وأنشدهم أيضاً لنفسه :

وإني فتى صبر على الأين والوجى . اذا اعتصروا للوح ماء فظاظها(٢)
اذا ضربوها ساعة بدمائها وحلّ عن الكوماء عقد شظاظها(٣)

(١) الغمر : زنخ اللحم . والمقتر من القتار وهو الدخان من المطبوخ

(٢) الاين : الاعياء والتعب . الوجى : الحفا وهو أن يرق الحافر وينسحج اللوح : العطش . الفظاظ : جمع فظ ، هو ماء الكرش يعتصر ويشرب منه عند عوز الماء في المفاوز

(٣) الكوماء : الناقة الضخمة السنام . الشظاظ : خشبة عقفاء محددة الطرف تجعل في عروتي الجوالقين اذا عكما على البعير

فانك ضحـاك الى كلّ صاحب   وأنطقُ من قسّ غداة عكاظها
اذا اشتغب المولى مشاغب مغشم   فعذرة فيها آخذ بـكظاظها (١)

والظاهر أن الذين سمعوا هذا الشعر من أبى اسحاق النجيرمى توهموا أنه ينشدهم لنفسه ، وحقيقة الشعر أنه لرجل من إياد يذكر عذرة بن حجرة الخطيب الايادى (٢) كما نص على ذلك إمام الادباء أبو عثمان الجاحظ فى البيان والتبيين (١ : ٢٥ الطبعة الثانية)

وفاته

هـذا كل ما استطعت معرفتـه عن أبى اسحاق النجيرمى ، وأنـه معاصر لـكافور ، ولم يذكر لنا مترجموه سنـة وفاته ، الا الصفدى فانه ترك لها بياضاً فى آخر ترجمـــــة النجيرمى من الوافى بالوفيات فقال : توفى رحمه الله فى . . . . ثم لم يتيسر له أن يملأ موضع البياض

---

(١) فى البيان والتبيين : « اذا شعب المولى مشاعب معشر » أى فرقه طرقهم . الـكظاظ : الشدة والتعب فى الامر حتى يأخذ بالنفس ، والمـمـارسة الشديدة فى الحرب

(٢) وذكر عذرة شاعر إيادى آخر فقال :

كقس إياد أو لقيط بن معبد   وعذرة والمنطيق زيد بن جندب

النجيرميون

وقد عُرف باسم النجيرمى غير واحد ، منهم يوسف بن يعقوب النجيرمى (٣٤٥ ـ ٤٢٣ هـ) وابنه بهزاد بن يوسف ، وكان مقامهما فى مصر أيضاً . قال ابن خلكان فى ترجمة يوسف : هو من أهل بيت فيه جماعة من الفضلاء الادباء ، ما منهم الا من هو ماهر فى اللغة ، كامل الادوات ، متقن لها

نجيرم

قالوا : ونجيرم محلة فى البصرة ، وقرية كبيرة على ساحل الخليج العربى دون سِيراف مما يلى البصرة ، وربما قيل لها نجارم ، والتجار وأهلها يقولون نيرم فيسقطون الجيم تخفيفاً . قال ياقوت فى معجم البلدان : رأيتها مراراً ، ليست بالكبيرة ، ولا بها آثار تدل على أنها كانت كبيرة أولا ، فان كان بالبصرة محلة يقال لها نجيرم فهم ناقلة هذا الاسم اليها ـ أى الى القرية ـ وليس مثلها ما ينقل منها قوم يصير لهم محلة . يعنى أن القرية التى على الخليج العربى ينبغى أن تكون سميت باسم المحلة التى فى البصرة

الاصل الذى طبعت عليه

وقد اعتمدتُ فى طبع رسالة (أيمان العرب) على نسختين

إحداها فى مكتبة حضرة العالم المحقق الجليل صاحب السعادة أحمد تيمور باشا (رقم ٣٦٢ لغة) وهى فى عشر صفحات متوسطة الحجم ليس فيها تاريخ كتابتها ، ولا اسم كاتبها ، ويغلب على الظن أنها من القرن العاشر الهجرى ، وفيها تحريف كثير ونقص . ويليها تراجم منقولة من كتاب الغنية فى تسمية شيوخ القاضى عياض ومن غيره

والنسخة الثانية فى دار الكتب المصرية (رقم ٢٣٤ مجاميع) وهى فى عشر صفحات أيضاً ، وتشابه النسخة الاولى فى تحريفها وفى خلوها من التاريخ واسم الكاتب ، فاضطُررت الى تصحيح كل فقرة فيها من مظانها فى كتب الادب واللغة ، ونبهت على أكثر ذلك فى أسفل الصفحات ، وأظننى تمكنت من ردها الى أصلها الصحيح بقدر ما تبلغه الطاقة . والله المستعان ، ومنه التوفيق

محبّ الدين الخطيب



أيمان العرب

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن عبدِ الله النَّجِيرَمى الكاتبُ :

كانت العرب فى الجاهلية على مذاهبَ : فكان معظمهم ممن يدين اللهَ[1] (تعالى ذكرُه) ، ويتمسّك بإرثٍ من ملّة إبراهيمَ (صلى الله عليه وسلم) ، ويحجُّ ويتألّه ويعظِّم الحرَم ، والأشهر الحُرم ، ويضع فيها أوزارَ الحرب ، وإن ظفِر بعدوِّه فيها لم يمسسه بسوء

وكانوا فى ذلك أخيافاً[2] : فكان منهم مَن يستحلُّ فى الحرَم المُحَلَّ والمُحَرَّمَ ، ومنهم من يُحْرِم عن المُحَلِّ والمحرَّم ، ومنهم من يُحِلُّ عن المحرَّم ويحرم عن المحَلّ

---

(١) فى النسخة التيمورية «معظمهم من يدين»

(٢) الخيف (بالتحريك) : أن تكون إحدى العينين زرقاء والأخرى كحلاء . ثم قيل : إخوة أخياف لبنى الأم الواحدة إذا اختلفت آباؤهم ، ثم قيل للمختلفين فى أى أمر من الأمور : هم أخياف ، ومنه هذا الذى نحن بصدده . الواحد أخيف والأنثى خيفاء .

قال أبو إسحاق : وكان عمرو بن كلثوم التغلبي من المحلّين

قال : وفى كل العرب خصائص تفعل هذا ما خلا طيّئاً وخَثْعَم ، فإنهم كانوا لا يحرمون عن مُحَلّ ولا محرّم

ومنها طائفة تعبد الأصنام وتزعم أنها تقرّبهم إلى الله عزّ وجلّ ، كما ذكر الله عزّ وجلّ فى قوله ﴿ ما نعبُدُهم إلاَّ ليُقَرِّبُونا إلى الله زُلفَى ﴾ وكما قال أيضاً فيهم ﴿ ويعبُدون من دون الله ما لا يضرُّهم ولا ينفعُهم ويقولون هؤلاء شُفَعاؤُنا عندَ الله ﴾

ومنهم طائفة تعبُد الأصنام وتُقسم بها ويزعُمون أنها هى الضارّة النافعة ، كما ذكر الله عزّ وجلّ فى قصة إبراهيم عليه السلام وقومه

فالطائفة الأولى تُقسِم بالله تعالى ، والقَسَمُ به عندهم أعظم الأيمان . ولذلك قال النابغة :

حلفتُ فلم أترُكْ لنفسكَ رِيبةً

وليس وراء الله للمرء مذهبُ (١)

(١) يخاطب النعمان بن المنذر فى قصيدة بعث بها اليه من الشام ،

وأخبر اللهُ تعالى فيهم بذلك فقال ﴿ وأقسَموا بالله جَهْدَ أيمانهم ﴾

ويقولون « والله فإنها تملأ الفم ، وترقئ الدم » . أى تبرئ الظنين بالدم من الدم فيرقأ دمه ، أى يسكن محقوناً فى مسكه فلا يراق

ومنه قولهم « لا تسبُّوا الإبل فإن فيها رُقُوءَ الدم[1] » أى إنها تعقل فى الديات فترقأ بها الدماء المحقونة بالإراقة

مدة اقامته فى ضيافة ملوك غسان ، يتنصل مما رمى به عنده ، ويعتذر عن مدحه لآل غسان ، ومطلعها :

أتانى ـ أبيت اللعن ـ أنك لمتنى   وتلك التى أهتم منها وأنصب

(١) تنسب هذه الكلمة الى أكثم بن صيفى أحد حكماء العرب وخطبائها وحكامها ، وقد أدرك العصر النبوى . ونسبت الى قيس بن عاصم المنقرى الحكيم الصحابى رضى الله عنه فى وصية كتب بها الى طيئ وهى « لا تسبوا الابل ، فانها رقوء الدم ، ومهر الكريمة ، وبألبانها يتحف الكبير ويغذى الصغير ، ولو أن الابل كلفت الطحن لطحنت » نقله الزبيدى فى التاج عن شروح الفصيح . وقال المفضل الضبى :

من اللائى يزدن العيش طيباً   وترقأ فى معاقلها الدماء

ووردت الكلمة فى أكثر كتب اللغة والادب

ومنه قولهم « لا رقأت [عَبرَتُه[1]] » أى لا هدأت

وبعضهم يقول « وتقطع الدم » أى يبرأ بها الرجل من الدم فيرقأ دمه

وقد قيل : إن القوم إذا اصطلحوا بعد حرب وتحالفوا بالله الأجلّ رقأت دماؤهم ، أى هدأت

ومن أيمانهم « لا والذى يرانى من فوق سبعة أرقعة » أى من فوق سبع سماوات . ثم خصوا السماء الدنيا بهذا الاسم . والرقيع مذكر . وقيل يسمى رقيعاً لأنه رقع بالنجوم . وتقول العرب « لا أفعل ذاك ولو نزوتُ فى الرقيع » كقولهم « ولو نزوت فى اللُوح » و « لا نزوت فى الشكالة » . وفى حديث النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لسعد [بن مُعاذ لما حكم فى بنى قُريظة « لقد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوق سبعة][2] أرقعة »

(١) الزيادة من التيمورية

(٢) الزيادة من نسخة دار الكتب المصرية ، وورد الحديث فى النهاية لابن الاثير (مادة رقع)

ومن أيمان هؤلاء « لا والذى شقَّ الرجالَ للخيل ، والجبالَ للسيل[1] » . والمعنى : لا والذى خلق الرجال على هذه الخلقة . هذا معنى « شق » ها هنا . وهو كتسميتهم خروق البدن شقوقاً

وعلى هذا المذهب إنما قولهم « لا والذى شقهنَّ خمساً من واحدة[1] » يعنى أصابع يده إذا حلف فرفع يده وفرق أصابعه

ومن أيمان هؤلاء أيضاً « لا والذى وجهى زَمَم بيته[1] » أى نحو بيته ومواجه بيته . ويقال « مُرَّ بهن على زمم طريقك » كأنه مزموم نحوه

ومنها أيضاً « لا والذى لا يوارينى منه خَمَر » . فالخمر ما واراك من شجر . المعنى : لا يوارينى منه شئ . وإنما ذكر الخمر لأن من شأنهم التوارى فى الخمر

ومثله « لا والذى لا يوارينى منه غيب » والغيب كل ما

---

(١) ورد فى المزهر (٢ : ١٦٨ الطبعة الثانية) عن كتاب المثنى لابن السكيت ، وفى ذيل الامالى والنوادر لابى على القالى (ص ٥١) وفى المخصص (١٣ : ١١٨)

واراك من شئ : من شجر ، أو جبل ، أو حائط ، أو غير ذلك[١]

ومنها أيضاً « لا والذى لا يُتَّقَى بوجاح » أى لا يستر منه وجاح فيتقى به . والوجاح كل ما حال بينك وبين شئ من ستر أو ثوب أو حائط أو غير ذلك . ومنه « ثوب موجَّح » أى صفيق جداً

ومنها أيضاً « لا والذى لا أتقيه إلا بمقتلهِ[٢] » أى كيف رمت أن أتقيه فهناك المقتل

ومنها « لا والذى أخرج العَذق من الجَريمة ، والنار من

---

(١) ومنه سميت الأجمة ذات الشجر المتكاثف غابة لانها تغيب ما فيها

(٢) فى التيمورية « بمقلته » ، وفى نسخة دار الكتب المصرية « بمقتله » وكذلك فى المزهر (٢ : ١٦٨) عن كتاب المثنى لابن السكيت وفى المخصص (١٣ : ١١٨) . وأورد القالى (٣ : ٥١) روايتين : احداهما « بمقتله » أى كل شىء منى مقتل من حيث شاء قتلنى ، وهى رواية ابن الاعرابى فى النوادر . والاخرى « لا والذى لا أتقيه الا بقلتة » من القلت وهو الموت ، أى الموت فى عنق فكل شىء حتف

الوَثيمة[١] » العَذق النخلة والجريمة التمرة المجرومة أى المصرومة وأراد النواة ، [[٢] والوثيمة فلقة أى قطعة من حجر تثمه أى تكسره من قولك وثم يثم وثماً أى كسر . ومنه قول عنترة :

تَطِسُ الإكامَ بوقع خُفٍّ مِيثَمِ [٣]

---

(١) ورد فى النهاية لابن الاثير (عذق ووثم) ، وفى تاج العروس فى المادتين ؛ ونقل القالى فى أماليه (١ : ١٠٢) وصاحب لسان العرب (وثم) ، والزبيدى فى التاج عن محمد بن السائب الكلبى : ان الاوس بن حارثة عاش دهرا وليس له ولد الا مالك ، وكان لاخيه الخزرج بن حارثة خمسة اولاد ـ عمرو وعوف وجشم والحارث وكعب ـ فلما حضره الموت قال له قومه :

— قد كنا نأمرك بالتزويج فى شبابك ، فلم تزوج حتى حضرك الموت . . .

فقال الاوس : لم يهلك هالك ، ترك مثل مالك ، وان كان الخزرج ذا عدد ، وليس لمالك ولد ؛ فلعل الذى استخرج العذق من الجريمة ، والنار من الوثيمة ، أن يجعل لمالك نسلا ، ورجالا بسلا . . . . الخ

(٢) النسخة التيمورية ناقصة من هذا الموضع الى نهاية الاشارة فى ص ٢٢

(٣) هو من المعلقة ، وصدره :

« خطارة غب السرى زيافة »

يصف خف ناقته أى مدق مكسرها

ومنها أيضاً «لا والذى فلق الحبَّة، وبرأ النَّسمة[1]» فلق الحبة أى شقها فى الأرض حتى تنبت، ثم أثمرت فكان منها حبٌّ كثير. وكل شئ شققته باثنين فقد فلقته. قال: والنسمة كل نفس ذات نفَس فهى نسمة. وسميت نسمة لتنسمها الهواء

ومنها أيضاً «لا والذى سمك السماء»

ومنها أيضاً «لا والذى يرانى من حيث ما نظر[2]»

ومنها أيضاً «لا وفالق الإصباح[3]، وباعث الأرواح»

ويروى «بذات خف» والوطس: الضرب الشديد. وخف ميثم: أى شديد الوطء

(١) أورده الراغب فى محاضرات الادباء (١: ٣٠٠ الطبعة الاولى) وابن الاثير فى النهاية (نسم وفلق) وقالا: كان من حلف أمير المؤمنين على كرم الله وجهه

(٢) نسخة دار الكتب المصرية «ما نظرت». وصححته من أمالى القالى (٣ : ٥٢) ومما جاء فى المزهر (٢ : ١٦٨) عن ابن السكيت فى كتاب المثنى، ومن المخصص (١٣ : ١١٨)

(٣) فى أمالى القالى وفى المزهر والمخصص

يريد جمع روح

« لا ومُجرى الرياح »

و « لا [و] بجرى الالاهـة » وبعضهم يقول « الاهـة » يجعلها معرفة علماً هى اسم الشمس التى تعبدها ،[1] ولذلك سموا (عبد شمس) و (عبد الشارق) كما سموا (عبد الله) و (عبد الرحمن)

ومنها أيضاً « لا يأتمر له جُدُولى » . قال : الجُدول الأعضاء واحدها جَذِل ومعنى هذا : أن أعضائى كلها جند لله تعالى علىّ

ومنها أيضاً « لا ومُنزل القَطر »

وبعضهم يقـول « لا ومُقَطِّع القَطر [2] » لأنه ينزل [3]

(١) فى تاج العروس : والالاهـة الشمس غير مصروف بلا ألف ولا لام ،وربما صرفوا وأدخلوا فيه الالف واللام وقالوا الالاهة . قال الجوهرى وأنشد أبو على :

فأعجلنا الالاهة أن تؤوبا

(٢) فى أمالى القالى (٣ : ٥١) . وفى المخصص (١٣ : ١١٨) : القطرة

(٣) أظن هنا كلمة أو كلمات سقطت من الاصل

« لا ومميت الرياح [1] » لأنهم يقولون بإماتة الرياح

« لا ومُجرى البحر »

« لا ومنشئ السحاب »

« لا والذى دَحَى الأرض » أى مدَّها وبسطها

« لا ومميت الرياح [2] » لأنهم يقولون ماتت الريح إذا سكنت . قال الراجز :

إنى لأرجو أن تموت الريحُ
فأقعدُ اليوم وأستريحُ

« لا والذى سجد له النجم والشجر » النجم من النبات ما نَجَم منه وانفرش على وجه الأرض ولم يرتفع عنها بساق

« لا والذى حجت له العمائر » جمع عمارة وهى الحىُّ الكبير

« لا والذى ذابت له الشعور »

---

(١) فى المزهر عن ابن السكيت

(٢) ورد فى الاصل هكذا مرة ثانية ، وقد تقدم آنفا

« لا وفاطر الأشباح » يريد جمع شَبَح وهو الشخص

« لا والذى يرصدنى أنّى سلكت » من قوله عزّ وجل

﴿ إن ربّك لبالمرْصاد ﴾

« لا وربّ الشمس والقمر »] [1]

« لا وربّ البيت والحَجَر [2] »

« لا والذى أخرج الماء من الحجر ، والنار من الشجر »

« لا ورازق الأنام »

« لا ورب النور والظلام »

« لا ورب الحلّ والحرام » ، قال مُهلهِل :

قتلوا كُليباً ثم قالوا ألا اربعوا كذبوا ورب الِحلّ والإحرام

« لا والذى أمّنه من كل أوب » أمّنه يعنى الإبل ، أضمرها

ولم يجر له ذِكر ، وهذا على عادتهم فى مثله . من كل أوب أى

(١) آخر الناقص من نسخة الخزانة التيمورية ، وأوله فى ص ١٨

(٢) البيت : الكعبة ، بيت الله الحرام . والحجر : الحجر الاسود فى الركن الشمالى من أركان الكعبة

من كل مسلك ومن كل طريق يأوب منه الآيبون

« لا والراقصات ببطن مَرٍّ[1] » يعنى الراقصات بركبانهن

« لا والذى رقصن ببطحائه[2] » رقص وأرقص لغتان .

والأبطح والبطحاء ما انبطح واتسع من بطن الوادى وهو خير

« لا والراقصات ببطن جَمْع[3] »

« لا والذى نادى الحجيج له[4] »

« لا وقائتى نفَسى[5] » أى الذى جعل نفسى قُوتاً لمدة

(١) بطن مر : من نواحى مكة على ليلتين منها ، قال ياقوت : فيه عيون كثيرة ونخل وجميز ، ويقال له (مر الظهران) ، وفيه يجتمع واديا نخلة الشامية من منازل هذيل فيصيران واديا واحداً

(٢) أورده القالى (٣ : ٥٢) والسيوطى فى المزهر (٢ : ١٦٨) عن ابن السكيت ، وابن سيده فى المخصص (١٣ : ١١٨)

(٣) جمع : هى المزدلفة ـ بين عرفات ومنى ـ يجتمع الناس فيها ليلة الافاضة من عرفات ، ثم يستأنفون السير الى منى فى الصباح . وقد ورد هذا اليمين فى أمالى القالى والمزهر والمخصص

(٤) القالى (٣ : ٥٢) والمزهر (٢ : ١٦٨) والمخصص (١٣ : ١١٨)

(٥) فى أمالى القالى وفى المزهر عن ابن السكيت وكذلك فى المخصص (١٣ : ١١٨) « لا والذى يقوتنى نفسى » وفى تاج العروس (قات) : لا وقائت نفسى

حياتى . قال : ويقتاته يذهب به شيئاً بعد شئ ، كما قال طفيل :

يقتات فضلَ سَنامها الرَّحْلُ

أى ينقصه الرحل شيئاً بعد شئ ، فكأنه له بمنزلة القوت حتى يأتى عليه

قال : وبعضهم يقول « لا وقائت نفَسى القصير[1] » يريد قصر العمر

ومنها قولهم « يمين الله لقد كان كذا » و « أيمن الله » قال نُصيب :

وقال فريق أيمن الله ما ندرى

و « أيم الله . . » و « أُيم الله . . » و « م الله لقد كان ذاك » . وقال يونس النحوى : أهل اليمامة يقولون « أمُ الله » وقال آخرون « أيمُن الله ، وأيمَن الكعبة » كأنه جمع يمين

(١) كـذا فى الموضعين من أمالى القالى والمزهر وفى المخصص (١٣ : ١١٨) ، قال القالى : القائت من القوت يعطيه قليلا قليلا . وفى تاج العروس (قات) « لا وقائت نفسى البصير » وفى النسخة التيمورية : لاوقائتى نفسى القصير . وفى نسخة دار الكتب المصرية : لاولايتى نفسى القصير

ومنها « عمرك الله هل ذاك ؟ » والمعنى عمرتك الله ، أى سألت الله تعميرك ، وهو معنى قول العامة « بالذى يعمرك » .
قال ابن الأعرابى عمرُكَ الله بالرفع ، والنصب الوجه ، وعليه رواة أهل العربية . وقال آخرون « عمرك الله »

ومنها أيضاً « قعِدَك الله » و « قَعِيدَك الله[1] » وقالوا أيضاً « قعدك لا أفعل ذاك » و قعيدك . . . » قال متمم بن نُوَيرة :

قعيدَكِ أن لا تسمعينى مَلامةً   فلا تنكإِى قَرح الفؤاد فَيَيجعا

ومعناها أخصب الله بلادك حتى تكون مقيما فيها قاعداً غير منتجع

ومنها « لا ورافعها بغير عمد ، لا وسامكها ، لا وباسطها - يعنى الأرض - لا وماهدها ، وداحيها » يعنى الأرض

« لا والذى أمدُّ إليه بيد قصيرة[2] » أى بسعى قصير ، ومنه « اليد العليا خير من اليد السفلى »

---

(١) المزهر (٢ : ١٦٨) عن ديوان الادب للفارابى ، والمخصص (١٣ : ١١٧) عن أبى عبيد

(٢) القالى ٣ : ٥٢ والمزهر ٢ : ١٦٨ والمخصص ١٣ : ١١٨

« لا والذى نادى الحجيج [له][1] » أى من أجله ، أى دعوه

« لا والذى كل الشعوب تدين له » ويقال أيضاً تدينه[2]

« لا والذى يرانى ولا أراه »[3]

أبو زيد : قال العقيليون « حرام الله » كقولهم يمين الله[3]

﴿ باب آخر ﴾

وأما عبدة الأوثان فإنهم كانوا يقسمون بها ، كقولهم « لا واللات والعُزّى[4] ، لا ومَناة »

وربما أقسموا بما يُعْتَرُ لها[5] . وقد فرغ ابن الكلبى من

(١) تقدم فى ص ٢٣

(٢) والثانية رواية وردت فى أمالى القالى والمزهر والمخصص

(٣) المزهر والقالى والمخصص

(٤) فى صبح الاعشى (١٣ : ٢٠٣) ان أكثر حلف عرب الحجاز كان باللات والعزّى

(٥) قال ابن الاثير فى النهاية : كان الرجل من العرب ينذر النذر يقول اذا كان كذا وكذا ، أو بلغ شاؤه كذا ، فعليه أن يذبح من كل عشرة منها فى رجب كذا . وكانوا يسمونها العتائر وقد عتر يعتر عترا اذا ذبح العتيرة وهكذا كان فى صدر الاسلام وأوله ، ثم نسخ . قال الخطابى : العتيرة

أسماء الأصنام فى كتاب الأصنام [1] ، فأغنى عن ذكر ذلك هاهنا

وقد أقسمت العرب بالماء والسماء والنجوم . كقولهم « لا والسماء ، لا والماء ، لا والآيبات ، لا والطارقات ، لا والراكعات » وكقولهم « لا والسابحات » السابحات النجوم . ومنه قول الله تعالى ﴿ وكل فى فلك يسبحون ﴾ . والآيبات النجوم إذا تصوبت للمغيب ، يقال منه آب النجم . والطارقات النجوم إذا طرقت أى طلعت . والراكعات إذا زالت عن كبد السماء

« لا ونفنف اللُوح ، والماء المسفوح ، والفضاء المندوح ، والنور الموجوح » أى المحجوب . النفنف ها هنا ما بين السماء والأرض وكل هواء بين رأس جبل إلى أسفله فهو كذلك . واللُوح الهواء بين السماء والأرض ، وأضاف النفنف إليه .

تفسيرها فى الحديث أنها شاة تذبح فى رجب . . وأما العتيرة التى كانت تعترها الجاهلية فهى الذبيحة التى كانت تذبح للاصنام فيصب دمها على رأسها

(١) عنى الاستاذ العلامة أحمد زكى باشا بتصحيح كتاب الاصنام لابن الكلبي وتحقيقه والتعليق عليه . وخرج من مطبعة دار الكتب المصرية بعد صدور الطبعة الاولى من (أيمان العرب)

والمسفوح المصبوب ، وعنى به البحر . والفضاء يعنى الأرض . والمندوح الموسع . وكأنهم عظّموا هذه الأشياء لأن بها قوام العالم

باب آخر

يقولون « قَسَماً لأفعلنّ ذاك ، ويميناً ، وأليّة ، ونحباً ، وعهداً ، ونذراً ، وموثقاً ، وميثاقاً ، وحقاً[1] ، ولحقّاً ، ولَيميناً ، ولقَسَماً » . وقال آخرون « لحقُّ لأفعل » يرفعون بغير تنوين مع اللام[2] والنحب النذر . وأنشد :

قضيتَ نحباً وجعلتَ نذرا[3]

والإصر العهد . ومن أيمانهم « بإصر وأصر ليكوننّ ذاك » وأنشد :

بأصر يتركنى الحى يوماً رهينة دارهم وهم سراعُ

---

(١) فى الاصلين حنفاً ، ولم أجد له معنى وجيها

(٢) المزهر ٢ : ١٦٨ والمخصص ١٣ : ١١٦

(٣) قولهم « قضى نحبه » كأنه ألزم نفسه أن يقاتل حتى يموت

ومعنى إصر : حَتم لازم . كأنه قال يلزم العهد كما يلزم اصرة الرحم . ومنه الإصر الثقل لأن اللازم الواجب يثقل كأنه قال : حقاً ليتركني الحي . ومنه قوله :

فإن أكبر فلا بأطير اصر يفارق عاتقي ذكرٌ خشيبُ

أطيرٌ : فعيل من أطَره يأطِره أطراً إذا عطفه ، والمعنى ان عليَّ اصراً يعطفني على أن لا أفارق هذا السيف . وهذا كقولك أقسمت انما وقع عليَّ الفراق فصار الفراق منفياً

والالُّ : العهد ، وهو أيضاً من أسماء الله تعالى . وهو الرحم أيضاً . ويوشك أن يكون إنما اشتمل على هذه المعانى الثلاثة ، لأن العهد سبب منوط بسبب الله عزوجل ، ولأن الرحم شجنة من الله عز وجل . ومعنى شجنة من الله : سبب منوط من الله عز وجل (١)

---

(١) الشجنة : الشعبة من كل شيء . يقال بينهما شجنة رحم ، كانها حبل من حبال صلته

باب

قال أبو عبيدة : « أوذَمَ فلان يميناً » إذا أوجب على نفسه يميناً . وأوذم فلان بالحج ، وأوذم بحجة ، كأنه ناط على نفسه بحجة كأنياط أوذام الدلو[١]

وكذلك « أبدعَ يميناً ، وأبدع بالحج ، وبحجة » : أوجبها على نفسه

وقال ابن الأعرابى : « لا والذى أكتعُ له » أى أحلف به . ومعنى أكتع أؤكد لأنه وكَّد قوله باليمين من قولهم أجمعون أكتعون

أبو عبيدة « جيرِ »[٢] فى الإيجاب بمعنى نعم وأجل . ويمين أيضاً . وقالوا « لا جير » بمعنى جير كما قالوا : لا أقسِم

الكسائى : عَوْضَ وعَوْضُ[٢] . الأموىّ : عوضَ ومن ذى عوضَ . وقال أبو عمرو : عوض من أسماء الدهر ، فكثر

---

(١) أوذم السقاء اذا شده بالوذمة وهو السير

(٢) المزهر ٢ : ١٦٨ والقالى ٣ : ٥٢ والمخصص ١٣ : ١١٦

فى كلامهم حتى حلفوا به

ومن أيمانهم « لا وجدِّك » أقسم بجده الذى هو حظه [١]

كما يقسم بعمره إذا قال « لعمرك » وكما تقول « وعيشك » .

فإذا قال « أجدَّك » بمعنى أَجِدُّ أنت كأنه قال أتَجِدُّ جداً فى هذا القول ؟ فأضاف إليه الجِد وخرج عن باب اليمين

وقالوا « صبَره يميناً يصبُره صبراً » والصبر الحبس ، كأنه حبسه عنها [٢]

وقالوا « ألَته يميناً يألته ألتاً » ومنـه قول الله تعالى ﴿ لا يلتـكم من أعمالـكم شيئاً ﴾ أى لا يحبس ولا يؤخر

وقالوا « حلف بالغَمُوس » [٣] أى بيمين تغمسه فى الإثم

(١) المخصص ١٣ : ١١٦ . ولا يزالون فى دمشق يقسمون بالحظ فيقول أحدهم « بحظى »

(٢) المخصص ١٣ : ١١٦

(٣) المخصص (١٣ : ١١٦) . وقال الخطيب الشربينى فى تفسيره : اليمين الغموس هى أن يحلف على أمر ماض أنه كان ولم يكن . وفى محاضرات الراغب (١ : ٢٩٨) وقال النبى صلى الله عليه وسلم « اليمين الغموس تدع الديار بلاقع »

وقالوا « لا خير فى يمين لا مَخَارِم لها » أى لا مخارج لها .
والخرم مقطع أنف الجبل وهو الطريق فيه ، فشبّهوا التأوّل فى المخلص من اليمين به . ويوشك أن يكون إنما خصّوا المخرم لأنهم شبهوا اليمين بالجبل استثقالا لها فسمّوا مجازها بمجاز الجبل

وقالوا « يمين جلواء ، وحلفة جلواء ، وبينة جلواء » أى ينجلى بها الحق وينكشف . وأنشد :

لكل أمر واقع أحناء
شهادة أو حلفة جلواء
به تقوم الأرض والسماء
وكل شئ غير ذا عداء

وأحناء الأمر أراد به أركانه ، أخذ من أحناء الرحْل ، الواحد حنو . والعداء الظلم . والمعنى أن كل شئ يرتفع فيه تنازع فهذه سبيله . قال زهير :

فإن الحق مقطعه ثلاث : يمينٌ أو نفار أو جلاء[1]

---

(١) كان عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضى الله عنه يعجب من

فاليمين معروفة ، والنفار المنافرة إلى الحكام وهى المحاكمة اليهم ليفصلوا بالحق ، والجلاء البينة التى تجلو الشك والشبهة فتغنى عن اليمين وعن التحاكم . وإذا حلف الرجل قالوا له : جلا أبو فلان ، وتحَلَّلْ أبا فلان (١) أى استثن (٢) أى قل إن شاء الله . وربما قالوا ذلك على سبيل الاستعطاف للحالف والرفق به ، وربما قالوا على سبيل الهزء منه

حسن هذا التقسيم ويردد بيت زهير من التعجب . ورووا عنه أنه قال : لو ادركته لوليته القضاء لمعرفته بما تثبت به الحقوق ، انظر البيان والتبيين ١ : ١٣٥ والصناعتين ٢٦٨ والعمدة ١ : ٣٠ وشرح بانت سعاد لابن هشام ١٦ (مصر سنة ١٣٢١) وغيرها

(١) فى الاصلين « وتحدل أبا فلان » وصححته من قول الراغب فى المحاضرات (١ : ٣٠٠) : كانت العرب تسمى الاستثناء فى اليمين « التحليل » . قال الشاعر : تحلل أبيت اللعن فى قول آثم

وقال : وإذا حلفت مماريًا فتحلل

وقال تعالى ﴿ تحلة أيمانكم ﴾

(٢) ومن هنا سموها « المثنوية » المخصص (١٣ : ١١٥) . وفى محاضرات الراغب (١ : ٣٠٠) عن النابغة :

حلفت يمينا غير ذى مثنوية

ويقال « حلف حلفاً ، وحلفة واحدة »

وقالوا « أقسم بالله » وأصله أنه وصل بالله تعالى إلى قسم من الأقسام حلف به ، ثم كثر هذا واتسع . والقسم مذكر ، يقولون « أقسم بالله قسَماً صادقاً ، وقسماً باراً »

وقالوا « آلى يؤلى إيلاء [1] »

وأصل « اليمين » أنهم كانوا إذا تحالفوا وتعاقدوا تصافقوا بأيمانهم ، ولذلك قيل « أعطاه صفقة يمينه على هذا الأمر [2] » ثم سموا الحلف يميناً على هذا المعنى . وأنَّثوا اليمين على تأنيث اليد فقالوا « حلف يميناً برَّةً ، ويميناً فاجرة »

قال أبو عبيدة : كانوا فى الجاهلية الأولى إذا تحالفوا وتعاهدوا أوقدوا ناراً ودنوا منها حتى تكاد تحرقهم ، وعدَّدوا منافع النار ، ودعوا على ناقض تلك اليمين والناكث لذلك العهد بحرمان تلك المنافع ، ويتصاخون عندها ويقولون « الدم الدم

---

(١) انظر ص ٣٨

(٢) النهاية لابن الاثير (صفق)

والهَدَم الهدم[1] ، والمعنى دماؤنا دماؤكم وهدمنا هدمكم ، والهدم أسم البناء المهدوم ، أى فما هدم لكم من بناء أو شان فقد هدم لنا وما أريق لكم من دم فقد أريق لنا ، يلزمنا من نصرتكم ما يلزمنا من نصرة أنفسنا . وعَبَروا على استعمال ذلك يتوارثونه إلى أن أتى الله تعالى بالإسلام ، وكان الحلف بين رسول الله ﷺ وبين الأنصار فقال صلوات الله وسلامه عليه لهم « الدم الدم والهدم الهدم »

وكانوا يقولون « عهداً لا يزيده طلوع الشمس إلا شدًّا ، وطول[2] الليالى إلا مدًّا »

و « ما بلَّ بحرٌ صُوفة[3] » ، و « ما أقام رَضوَى[4] »

---

(١) النهاية لابن الاثير (هدم) والحيوان للجاحظ (٤ : ١٥٠) ولسان العرب (هدم)

(٢) فى الاصل « وطلوع » وصحته من الحيوان (٤ : ١٥٠)

(٣) فى تاج العروس : وصوفة البحر على شكل هذا الصوف الحيوانى . ومن الابديات قولهم « لا آتيك ما بل البحر صوفة » حكاه اللحيانى

(٤) الحيوان ٤ : ١٥٠ . ورضوى جبل بين المدينة وينبع

وربما دنوا من النار حتى تمحشهم[1] ، أو تكاد تحرقهم . ويهولون بها على من يستخف بحقوقها ، ويتوعدونه بحرمان منافعها ومرافقها[2] ، وفى ذلك نكد العيش وحرمان الحياة

ويسمون الرجل القيم بأمر تلك النار « المهوّل »[3] وقد ذكرته الشعراء . قال الكميت :

كهولة ما أوقد المحلفون لدى الحالفين وما هوّلوا[4]

[و] قال أوس [بن حجر] وذكر عيراً قائما فوق نشز :

إذا استقبلته الشمس صدّ بوجهه كما صدّ عن نار المهوّل حالفُ[5]

وكان من شأنهم إذا تحالفوا أن يغمسوا أيديهم فى الدم ،

---

(١) الحيوان (٤ : ١٥٠) والمخصص (٣ : ١١٥) والنهاية ولسان العرب وتاج العروس وغيرها

(٢) المخصص ١٣ : ١١٥

(٣) الحيوان ٤ : ١٥٠

(٤) محاضرات الراغب (١ : ٣٠٢) والبيان والتبيين (٣ : ١) والحيوان (٤ : ١٥٠)

(٥) البيان والتبيين (٣ : ١)

وما زالوا على ذلك إلى أن كان الحلف الواقع مشهد رسول الله ﷺ وهو حلف المطيّبين وحديثه معروف (١)

وكانوا ربما تعاقدوا وتعاهدوا على الملح . والملح عندهم شيئان : ملح الادام التى يتملح بها ، واللبن . وذلك أنه سواء عندهم [أن يجتمعوا على طعام وملح ، أو على شرب لبن . هذا عندهم (٢)] ممالحة . ولذلك سموا اللبن ملحاً فقالوا من البابين جميعاً « بيننا ملح » ، وعلى هذا قال أبو الطمحان القينى :

وإنى لأرجو ملحها فى بطونكم
وما بسطت من جلد أشعث أغبرا (٣)

أى سَمَّنتْهم هذه الألبان بعد الهزال . وقال شتيم بن خويلد :

لا يبعد الله رب العباد والملح ما ولدت خالده (٣)

وأما كهان العرب فإنهم كانوا يقسمون بالسماء والماء ، والأرض والهواء ، والنور والضياء ، والظلمة ، وبغير ذلك

---

(١) النهاية لابن الاثير (مادتا غمس ، وطيب)
(٢) الزيادة من التيمورية (٣) الحيوان للجاحظ (٤ : ١٥١)

مما هو موجود فى أخبارهم ، كما أقسم سواد بن قارب الدَّوسى : « أقسمُ بالضياء والحَلَك ، والشروق والدَّلَك [1] » وهى كثيرة موجودة فى كتب أخبارهم

باب

يقال آلى فلان يؤلى إيلاء . قال : والاسم الاليَّة . فإذا قيل آلى يفعل ، وآليت أفعل ، فهو قسَم على ترك الفعل ، لأن اليمين بمنزلة النفى للفعل حتى يأتى باللام التى هى آلة للقسم ، كقولك آليت لأفعلن . وكذلك قولك والله أفعل ، وأقسمت أفعل . وهذا مما يغالَط به ويجوز على كثير من الناس . وعلى هذا قول المتلمس :

آليت حَبَّ العراق الدهرَ أطعمه والحبُّ يأكله فى القرية السوس

هذا آخر ﴿ أيمان العرب ﴾

والحمد لله وحده ، وصلاته على خيرته من خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

---

(١) محاضرات الراغب (١ : ٢٠٣)

استدراك

أبقيتُ هذه الطبعة الثانية من (أيمان العرب) على ما كان عليه الكتاب فى طبعته الأولى ، فلم أزد على ما كتبته فى مقدمته وتعليقاته قبل نحو أربعين سنة ، لأن ذلك أمسى فى ذمة التاريخ

غير أنى أستدرك الآن على موضوع (أيمان العرب) بأن النجيرمى ربما لم يستقص هذا الموضوع ، لأن تراث العروبة أوسع وأعظم من أن يحاط به ، وقد يكون النجيرمى - وهو من أعلام القرن الرابع الهجرى - لم يطلع على كثير مما دوّنه أسلافنا فى صدر الدولة العباسية وأواخر العصر الأموىّ

وقد قرأت فى مادة (نجد) من تاج العروس للسيد مرتضى الزبيدى نقلا عن شيخه أن العرب تقول فى أيمانها « أما ونجديها ما فعلت ذلك » قال : النجد الثدى ، والبطن تحته كالغور . قاله فى « العناية » فى سورة البلد

والأيمان كان من أسمائها « النوافل »

وفى القاموس : ونفل حلف . والتنفيل التحليف . زاد فى التاج : ويحكى أن الجميح - واسمه منقذ بن الطماح الأسدى - لقيه يزيد بن الصعق فقال له يزيد : هجوتنى . فقال : لا والله . قال : فانفل . قال : لا أنفل . فضربه يزيد

قال أبو السعادات بن الأثير فى النهاية (مادة نفل) : ونفل وانتفل إذا حلف . وأصل النفل النفى ، يقال : نفلت الرجل عن نسبه ، وانفلْ عن نفسك إن كنت صادقا ، أى انف عنك ما قيل فيك . وسميت

اليمين فى القسامة « نفلا » لأن القصاص ينفى بها . وفى حديث القسامة « قال لأولياء المقتول : أترضون بنفل خمسين من اليهود ما قتلوه » ؟ يقال نفَّلته فنفل ، أى حلَّفته فحلف

ولأبى المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى (وفاته سنة ٢٠٤) سلسلة كتب فى نوافل بعض قبائل العرب ذكرها ابن النديم نقلا عن أبى الحسن بن الكوفى ، وأوردها ياقوت فى ترجمة ابن الكلبى من معجم الأدباء وهى : (كتاب نوافل قريش) ، (نوافل كنانة) ، (نوافل أسد) ، (نوافل تميم) ، (نوافل قيس) ، (نوافل إياد) ، (نوافل ربيعة) ، (نوافل من نفل من عاد وثمود والعماليق وجرهم . . الخ) ، (نوافل قضاعة) ، (نوافل اليمن) . وهذا التراث العلمى للعرب وتاريخهم فى حكم المفقود الآن ، ولو أن هذه المصنفات وأمثالها وجدت لأنارت جوانب من ماضى هذه الأمة العريقة فى بيانها الإنسانى العجيب

محب الدين الخطيب